(التعريف والنقد)

نظرات في نظرات

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

١

للأستاذ صبحي البصام فيما يحبّره من مقالات التفاتاتٌ طريفة ، وتحقيقات بارعة لا يغض من قدرها أنه ربما ذهب في بعض الأمور مذهباً يرى غيره خلافه . وحسبُ الأستاذ فضلاً أنه استشار تلك الأمور واجتهد فيها اجتهاده ، ثم عرض ذلك كلّه للبحث والنظر . ومن ذلك أشياء استوقفتني وأنا أنظر في مقالته : « نظرات في كتاب التعليقات والنوادر ـ الجزء الثاني »[1] قبل دفعها إلى الطبع ، منها ماسهافيه الأستاذ في النقل عن بعض المصادر ، أو في تسميتها ، ومنها ماتناول فيه مسائل بدا لي فيها غير ماذهب إليه . وكنت هممت إذ ذاك أن أعلق على مقالته بما بدا لي ، إلا أني رأيت غير ما مسألة من تلك المسائل لا يفي بها تعليق مقتضب ، ولهذا ماآثرت أن أفرد لبسط ذلك هذه المقالة .

وقد حملني على الإطالة في عدة مسائل أن كان لابد لاستيفاء الكلام في بعضها من دراسة طائفة من الأسانيد ، وقد اضطرني ذلك إلى محاولة الكشف عن أمر رجال من رجال الرواية ، منهم من خفيت حاله ، ومنهم من لم أُصب له ترجمة ، وأني رأيت الأستاذ بنى كلامه في بعضها على نصوص منها ماوهم صاحبه ، ومنها ما شابته شوائب من السقط والتحريف وسوء الضبط ، فكان لابد لي من تقصّي القول في ذلك أيضاً . وقد أردت ـ فيما أردت ـ من ذلك الإلماع إلى أصول من أصول النظر في الروايات والنصوص ونقدها من جهة ، والإشارة إلى أن كثيراً من أمهات مراجعنا في الأدب واللغة والتاريخ ماتزال تفتقر إلى طبعات علمية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

محررة ودراسة جامعة من جهة أخرى . ولهذا حديث يطول اجتزأت عنه بهذه الكليات .

وهذا بسط ما بدا لي في مقالة الأستاذ :

١ ـ ذكر الأستاذ في الفقرة (٤) من مقالته أن الهجري أنشد لعمرة بنت النعمان الأنصارية

فإن ولدتْ مهراً كريماً فبالحَرَى وإن يكُ إقرافٌ فمن قِبَل الفَحْلِ

وعقب على ذلك قال : « وها هنا أربعة أمور تقال .... » ثم بسط تلك الأمور ، وأخذ في الثالث منها على محقّق الكتاب (؟) أن قال في التعليق على البيت : « لم أعثر على البيت في مختلف المصادر الأدبية » ! على حين جاء البيت مع آخر قبله في كثير من كتب الأدب واللغة ، وقد عدّد الأستاذ منها طائفة حسنة [٢] . وأما الأمور الثلاثة الأخر فكانت نظراتٍ في نسبة البيتين ورواياتها ، وفي كلّ منها مقال .

أ ـ قال الأستاذ في ذكر الأمر الأوّل : « منها أن الأغلب في رواية البيت لهند وليس لعمرة ، بدلالة بيت قبله لم يذكره الهجري ، وهو :

وهل هند إلاّ مهرةٌ عربية سلسلةُ أفراسٍ تجلّلها بَغْل »

كذا قال الأستاذ ، ومراده ـ كما يبدو من جملة كلامه ـ أن الأرجح في نسبة البيتين أنها لهند لا لعمرة . ويظهر أن الأستاذ نظر فيما رجع إليه من مصادر نظرة خاطفة ، ثم سارع إلى البتّ بهذا الذي قال وقد غابت عنه أشياء . وليكون القول في مثل هذا الأمر على بصيرة لا بدّ من التأنّي في استقراء الروايات ومعارضة بعضها ببعض ، والنظر في مخارج ما أُسند منها وطرق تحمّله ، حتى إذا ما بدا ما يوجب ترجيح قول على غيره فذاك ، وإلاّ اقتُصر على ذكر الخلاف على وجهه ، ونسبة كل قول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى صاحبه أو مصدره . وقد يكون الخطب في نسبة هذين البيتين أهون من أن يُتَكلَّف له هذا العناء ، غير أني تجشّمت ذلك تنبيهاً على هذا الأصل في مدارسة النصوص والأخبار من جهة ، وتحذيراً من مغبة التسرّع في إلقاء الأحكام من جهة أخرى .

وفي نسبة البيتين أقوال ، غير أن أكثر المصادر والروايات تجتمع على نسبتهما إلى ابنةٍ للنعمان بن بشير الأنصاري ـ وهو الثبت الذي لا مدفع له ـ ثم تختلف في تسميتها ، لم يشذّ عن ذلك ، فيما وقفتُ عليه ، إلا حكاية لا يُعْرَف لها مخرج ، ومقالة لأبي الفرج خالف فيها ما حكاه عن رجاله ، وكلتاهما ـ كما سيأتي ـ ممّا لا تقوم به حجة .

وأقدم ما وقفتُ عليه من المصادر التي روت البيتين مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) أنشدهما فيه ٢ : ٥٥ واقتصر على أن قال : « قالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية .... » ولم يذكر لها اسماً . ثم سُمِّيت في طائفة من المصادر والروايات : حميدة ، وفي طائفة : هنداً . وقد حكى غير واحد كلا القولين من غير ما ترجيح . وأمّا نسبة البيتين أو أحدهما إلى عمرة بنت النعمان فلم أجد من صرّح بذلك غير الهجري ، وهو قول شاذّ لا يعاج به ، والظاهر أنه سهو منه .

وأقدم من أصبتُ عنده تسميتها حميدةَ أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أنشد لها البيتين في كتاب البغال ـ رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون) ٢ : ٣٥٨ ، القول في البغال (نشرة پلا) ص : ١٢١ . ثم سُمِّيت حميدةَ أيضاً فيما حكاه أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠ هـ) وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) من خبرها مع أزواجها ، وسيأتي القول في رواياتها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما أقدم من وجدت عنده البيتين منسوبين إلى هند بنت النعمان بن بشير فهو ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وذلك في كتابيه : أدب الكاتب ، ص : ٤٢ (ط . ليدن) ، ٤١ (ط . بيروت) وغريب الحديث ٢ : ٣٢٦ . ثم أنشدهما لهند أبو منصور الأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) في معجمه تهذيب اللغة ٦ : ٦٠ ـ وهما عنه في اللسان (هجن) ، والراغبُ الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) في محاضرات الأدباء ٣ : ٢١٠ ، وموفّقُ الدين ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) في الاستبصار ، ص : ١٢٣[٣] .

وكذلك سُمّيت هنداً فيما حكاه من خبرها وفيه البيتان ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) في العقد ٦ : ١١٥ ـ ١١٦ ، وصاحب كتاب أخبار النساء ، ص : ١١١ ـ ١١٢ (ط . بيروت) وهذا الكتاب نُسِب إلى الإمام ابن القيّم (ت ٧٥١ هـ) وإني لفي شك من صحّة هذه النسبة[٤] .

وقد سمّاها هنداً أيضاً الشاعر الأندلسيّ : ابن صارة الشنتريني في قوله :

وصاحب لي كداء البطن صحبته ... يودّني كوداد الذئب للراعيَ
يثني عليّ جزاه الله صالحة ... ثناءَ هند على روح بن زنباع

أنشدهما له ابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) في ترجمته في وفيات الأعيان ٣ : ٩٥ (تحقيق د . إحسان عباس) وعقب عليهما بأن المعنية هند بنت النعمان بن بشير ، وأنشد لها البيتين ، ثم ذكر أنها يرويان لحميدة أيضاً . ومن قبله أنشد أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) البيتين في اللآلي ، ص : ١٧٩ لهند ، وقال عقبهما : « وقال الليثي : إن اسمها حمدة أو حميدة ، وروايته : وهل كنتُ إلا مهرةً عربية » . وانظر التنبيه ، له أيضاً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص : ٣١ . وكذلك ذكر ابن السّيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) في كتابه : الاقتضاب الذي شرح فيه أدب الكاتب ، ص : ١١٧ ، وص : ٣٠٦ أن هناك من يرويها لحميدة ، ونصّ في الموضع الثاني أن هؤلاء يروون : « وهل أنا إلاّ مُهْرة .... » وفي الموضع الأوّل أنهم يروون : « وما أنا إلا مهرة .... » . وجاء نحو هذا في تعليق لبعض علماء الأندلس أيضاً في حاشية الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي ، ورقة : ١٠٧ ب (مخطوط الظاهرية ـ انظر « حديث الشعبي في صفة الغيث » تحقيق د . شاكر الفحام في هذه المجلة ، المجلد ٥٨ ، ج ١ : ١٢) .

على أن المصادر والروايات السالفة ـ وإن اختلفت في اسم قائلة البيتين ـ لم تختلف في أنها كانت زوجاً لروح بن زنباع الجذامي (ت ٨٤ هـ) وأكثرها ينصّ أنها قالتها فيه . وشذّ مما سُمِّيتْ فيه حميدةَ إحدى روايات أبي الفرج التي سيأتي ذكرها ، فجعلتها ممّا قالته في الفيض بن أبي عقيل الثقفيّ ، وكان هذا قد تزوّجها بعد روح . وكأن ابن السّيد عنى هذه الرواية عند ما قال في الاقتضاب ، ص : ١١٧ : « وقد روي هذا الشعر لحميدة بنت النعمان بن بشير وأنها قالته في الفيض بن أبي عقيل الثقفي .... » إلا أن ابن السيد نفسه لما ذكر ثانية في كتابه هذا ، ص : ٣٠٦ أن البيتين رويا لحميدة أيضًا حكى ما جاء في الروايات الأخر من أنها هجت بهما روحاً . وهو الأثبت .

هذا ، ولا حفْل بحكاية نقلها من المتأخرين الأبشيهيُّ (ت ٨٥٢ هـ) في المستطرف ١ : ٥٣ ـ ٥٤ ثم السيوطيُّ (ت ٩١١ هـ) في تحفة المجالس ، ص : ٢٧٩ ـ ٢٩٠ ومجملها أنه وُصِف للحجاج حُسْن هند بنت النعمان فتزوّجها ، ثم سمعها يوماً تقول فيه البيتين وهي تنظر في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المرآة فطلقها ، فتزوّجها بعده عبد الملك بن مروان .... في خبر طويل !! فهي حكاية مختلقة لايُعرَف لها أصل ولا مخرج ، وفيها ركّة وتخليط كثير ، ويظهر أنّها مما كان يلفّقه أصحاب الأسمار ومن إليهم[٥] .

وباعتبار هذا الإجماع على أن قائلة البيتين كانت زوجًا لروح بن زنباع من جهة ، وبالنظر في طرق الرواية من جهة أخرى فإنّ الذي يظهر رجحانه أنها حميدة كما قال الجاحظ ، وكما جاء فيما حكاه ابن أبي طاهر وأبو الفرج من خبرها ؛ فإن رواياتها في الجملة أعلى الروايات وأصحّها مخرجًا ، ويصدّقها في أن التي تزوّجها روح من بنات النعمان بن بشير إنما هي حميدة مصدران من أوثق كتب الرجال والأنساب .

أما ابن أبي طاهر فحكى خبرها في القطعة التي طبعت من كتابه : « المنثور والمنظوم » باسم بلاغات النساء ، ص : ١٣٢ ـ ١٣٧ (ط . بيروت) عن شيخه عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ) موقوفاً عليه .

وأما أبو الفرج ـ وعلى رواياته المعوّل ـ فحكى ذلك في موضعين من الأغاني :

أولهما : في « ذكر الحارث بن خالد ونسبه .... » ٩ : ٢٢٧ ـ ٢٣٣ . وقد حكاه ثَمَّ أوّل ما حكاه عن أحمد بن عبد العزيز (الجوهري) عن عمر بن شبة أيضاً . وفي هذه الرواية ـ وهي أحسن سياقة من رواية ابن أبي طاهر ـ قدّم عمر طرفًا من خبرها حكاه بلاغًا ، وجاء في رواية ابن أبي طاهر مؤخّراً محكيّاً بصيغة التمريض : « يُقال » . ومجمله أن الحارث بن خالد ـ ويقال : بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ـ تزوّج حميدة هذه فهجته بأبيات ، وهجاها بأبيات ، ثم طلقها فخلف عليها روح بن زنباع . وقد حكى أبو الفرج عقب هذا الجانب من رواية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عمر نحو ما جاء فيه من وجه آخر ، قال : « وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال ، حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال ، حدثنا محمد بن الحكم ، عن عوانة بهذا الخبر فذكر مثله ، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوّجها .... » ثم رجع إلى رواية عمر فقال : « قال أبو زيد (يعني عمر) : وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه ، وزاد فيه أنّ الحارث لما تزوّجها قالت فيه :

نكحتُ المدينيّ إذ جاءني فيالك من نكحة غاويهْ

وذكر الأبيات المتقدّمة (وكان قد أنشد الأبيات فيما تقدّم) وقال عمر بن شبة فيه (يعني فيما حكاه عن ابن عائشة عن أبيه) : وتزوّجها روح بن زنباع .... » وساق خبرها مع روح وما كان بينهما من تهاجٍ وفيه البيتان ، ثم خبرها مع الفيض الذي تزوّجها بعده ، وسائرَ ما ذكره بمثل ما جاء في رواية ابن أبي طاهر .

وهذا سند للخبر حسن أو إلى الحسن ما هو .

وأوّل رجاله أبو الفرج نفسه ، وهو غنيّ عن التعريف ، وحسبنا قول الحافظ الذهبي في ترجمته في ميزان الاعتدال ٣ : ١٢٣ : « الظاهر أنه صدوق » وقد أقرّه على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤ : ٢٢١ .

وأحمد بن عبد العزيز الجوهري من شيوخه الذين أكثر من الرواية عنهم في الأغاني ، وقد حكى عنه في مواضع من مقاتل الطالبيين أيضاً ، وقد روى عنه أبو أحمد العسكري (ت ٣٨٢ هـ) في بضعة عشر موضعاً من كتابه : المصون ، وكذلك حكى عنه المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في الموشح أخباراً كثيره كتب بها إليه . ولم أجد له ترجمة ، غير أن الخطيب البغدادي ذكره في شيوخ أحمد بن عبد الله بن خلف أبي بكر الدوريّ الوراق في تاريخ بغداد ٤ : ٢٣٤ ، وأفاد أنه بصريّ . ويؤخذ من أسانيد أبي الفرج أنه روى عن جماعة منهم إسماعيل بن إسحاق القاضي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ت ٢٨٢ هـ) وعبد الله بن أبي سعد الوراق (ت ٢٧٤ هـ) ومحمد بن زكريا الغلابي ، وعلي بن محمد النوفلي ، ومحمد بن القاسم بن مهرويه ، وغيرهم ، إلا أنّ أكثر روايته عن عمر بن شبة . وربما قرنه أبو الفرج بآخر من شيوخه أو أكثر ، كحبيب بن نصر المهلبي (ت بعد ٣٠٧ هـ) وأحمد بن عبيد الله بن عمار (ت ٣١٤ هـ) وإسماعيل بن يونس الشيعي (ت ٣٢٣ هـ) . وقد اعتبرت طائفة صالحة من رواياته وعارضتها بروايات غيره فرأيتها إلى الاستقامة ، ويظهر أنه كان حسن الحفظ والأداء لما يرويه . وقد جاءت رواية ابن أبي طاهر لهذا الخبر ـ وإن كانت موقوفة على عمر ـ مصدّقة لروايته في الجملة .

وابن أبي طاهر هذا تحامل عليه بعضهم ، فغض منه واتّهمه باللحن والتصحيف ، غير أني لم أجد أحداً يدفعه عن الصدق فيما ينقله ويحكيه ، بل لقد شهد له الخطيب البغدادي بأنه « كان أحد البلغاء الشعراء الرواة ، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم » انظر ترجمته في الفهرست ، ص : ١٤٦ (ط . ليبسك) ١٦٣ (ط . طهران) وتاريخ بغداد ٤ : ٢١١ ، ومعجم الأدباء ٣ : ٨٧ ، والوافي بالوفيات ٧ : ٨

وشيخها أبو زيد عمر بن شبة من كبار الأخباريين الموثّقين عند أصحاب الحديث ، قال فيه الخطيب : « كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس ، وله تصانيف كثيرة » . انظر ترجمته في الفهرست ، ص : ١١٢ (ط . ليبسك) ١٢٥ (ط . طهران) وتاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ ، ومعجم الأدباء ١٦ : ٦٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٤٤٠ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٤٦٠ ، وغاية النهاية ١ : ٥٩٢ ، وبغية الوعاة ، ص : ٣٦١ .

وشيخه ابن عائشة هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي القرشي (ت ٢٢٨ هـ) ويقال له : ابن عائشة ، والعائشي ، والعيشي لأنه من ولد عائشة بنت طلحة . وكان من جلّة العلماء بالأخبار والأنساب والآثار ، روى عنه الحديث من الكبار الإمام أحمد ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن أبي شيبة ، وغيرهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال فيه الخطيب : « كان فصيحاً ، أديباً ، سخيّاً ، حسن الخلق ، غزير العلم ، عارفاً بأيام الناس » ونعته الحافظ الذهبي بـ « الإمام العلامة الثقة » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٠ : ٣١٤ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٤٥ ، وفي سير أعلام النبلاء ١٠ : ٥٦٤ وسائر ماذكر محققوه من مصادر .

وأبوه محمد بن حفص لم أجد له ترجمة ، خلا أن الجاحظ ذكره في البيان والتبيين ١ : ٣٢٠ في النسابين العلماء وقال : « وابنه عبيد الله كان يجري مجراه » وكان قد ذكر فيه ١ : ١٠٢ عبيد الله في البلغاء ، وشهد له بأنه « كان كثير العلم والسماع ، متصرّفاً في الخبر والأثر » ثم قال في أبيه : « وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم » .

ثم إنّ أبا الفرج حكى خبرَها عقب رواية عمر من وجه آخر قال : « أخبرني محمد بن خلف وكيع قال ، حدثنا سليمان بن أيوب قال ، حدثنا المدائني ، عن مسلمة بن محارب قال : قالت حميدة بنت النعمان لزوجها روح بن زنباع .... » وقصّ طرفًا من خبرها مع روح لم يقع في رواية ابن شبة ، وقال أبو الفرج بعده : « ثم ذكر باقي خبرها مثل ما تقدّم » يعني مثل ما جاء في رواية ابن شبة . وهو يفيد أن البيتين جاءا في هذه الرواية أيضاً فيما هجتُ به روحاً .

وسند هذه الرواية نحو سند الرواية السابقة :

محمد بن خلف وكيع القاضي (ت ٣٠٦ هـ) أخباريّ علامة ، قال فيه الخطيب : « كان عالما فاضلاً عارفاً بالسير وأيام الناس وأخبارهم وله مصنفات كثيرة » وكان إلى ذلك من أهل القرآن والفقه والنحو . وقد حكي عن ابن المنادي أن الناس أقلّوا عنه للين شهر به ـ يعني في الحديث ، غير أن الحافظ الذهبي قال فيه : « صدوق إن شاء الله » انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٢٣٦ ، والمنتظم ٦ : ١٥٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٣٨ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٦ ، والوافي ٣ : ٤٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وشيخه سليمان بن أيوب أبو أيوب المديني من رجاله الذين حكى عنهم في كتابه : « أخبار القضاة »[٦] . وقد حكى أبو الفرج عن غير واحد من شيوخه عنه[٧] ، وذهب مصححو الأغاني ٢ : ٨ التعليق : ٢ إلى أنه الذي ذكره ابن النديم في الفهرست ، ص : ١٤٨ (ط . ليبسك) ١٦٥ (ط . طهران) قال : « أبو أيوب المديني ، واسمه سليمان بن أيوب بن محمد . من أهل المدينة ، من الظرفاء الأدباء ، عارف بالغناء وأخبار المغنين ، وله في ذلك عدة كتب .... » وفي نفسي من ذلك شيء ؛ فإن الذي حكى أبو الفرج عن وكيع وغيره من شيوخه عنه سمّي في بعض أسانيده ١٩ : ١٩٥ « سليمان بن أيوب بن أعين » لا « سليمان بن أيوب بن محمد » كالذي ذكره ابن النديم . ثم إن ماجاء في الأغاني من طريقه في غير أخبار المغنين يربي كثيراً على ماجاء عنه من أخبارهم . ومهما يكن الأمر فإن شيخ وكيع هذا كان ـ فيما يظهر ـ من حفظة الأخبار المتّسعين في الرواية ، وقد أحصيت له من أسانيد أبي الفرج نحو عشرين شيخاً من أجلّهم مصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ) ومحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) وأبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ) وهو شيخه الذي روى عنه هذا الخبر . ويظهر أن أبا أيوب هذا كان عند أبي الفرج من الحفظة المتقنين لما يروون ؛ يشهد بذلك أنه حكى ١٣ : ٣٣٠ ـ ٣٣١ خبراً من أخبار مطيع بن إياس عن أبي الحسن الأسدي ، وهو أحمد بن محمد (ت ٣٠٧ هـ) عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن سعيد بن سالم [لعل الصواب : سلم] عن مطيع نفسه ، وقال عقبه : « هكذا ذكر أبو الحسن الأسدي في هذا الخبر ، وهو غلط » مع أن أبا الحسن هذا وثقه الدارقطني ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٤٢ ، ثم لم يزد أبو الفرج على أن قال بعد ذلك : « نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني [الصواب : المديني] عن حماد ، ولم يقل : عن أبيه : عن سعيد بن سالم [سلم] عن مطيع .... » وساق الخبر من روايته وفيها خلاف لرواية أبي الحسن[٨] .

وأما شيخه أبو الحسن المدائني فمن أكبر الأخباريين الثقات المكثرين من التأليف ، وثقه يحيى بن معين وغيره ، ونعته الحافظ الذهبي بـ « العلامة الحافظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصادق » ثم قال فيه : « وكان عجبًا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب ، مصدّقًا فيما ينقله عاليَ الإسناد » . انظر ترجمته في الفهرست ، ص : ١٠٠ (ط . ليبسك) ، ١١٣ (ط . طهران) وتاريخ بغداد ١٢ : ١٥٤ ، وفي سير أعلام النبلاء ١٠ : ٤٠٠ وسائر ماذكره محققوه من مصادر .

وشيخه مسلمة بن محارب (الزيادي) ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤ : ١ / ٢٦٦ قال : « مسلمة بن محارب الزيادي كوفيّ روى عن أبيه ، وعن ابن جريج ، روى معتمر بن سليمان ، عن رجل من أهل الكوفة ، عنه . وروى أبو الحسن المدائني عنه ، سمعت أبي يقول ذلك » . وأظنه وهم في قوله : كوفيّ ؛ فإن مسلمة هذا من ولد زياد بن سمية (ابن أبيه) وإليه نسبته ، وموطن ولده البصرة لا الكوفة . وتمام نسبه : مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد . انظر أنساب الأشراف ٣ : ٩١ ، وشرح النقائض ، ص : ٧٢٦ ، وأخبار أبي تمام ، ص : ١٧٨ . وقد جاء في الأغاني روايات أخر للمدائني وغيره عنه ، ولأبي عبيدة روايات عنه في شرح النقائض ، ص : ٧٢٦ ، ٧٣٠ ، ٧٣٤ . وممن أكثر من النقل عن المدائني عنه : البلاذريّ في أنساب الأشراف ، ولاسيما في أخبار زياد . (انظر فهرس الأعلام في الجزء الأول من القسم الرابع منه ، ص : ٦٦٦) وكذلك روى الطبري في مواضع شتى من تاريخه عن عمر بن شبة ، عن المدائني ، عنه . ويظهر من أسانيده أن مسلمة هذا روى عن أناس كثر ، وممن روى عنهم من الأعلام الثقات : داود بن أبي هند (ت ١٣٩ هـ) وخالد بن مهران الحذاء (ت ١٤١ هـ) وعوف بن أبي جميلة الأعرابي (ت ١٤٦ هـ) .

وانظر تعليق شيخنا العلامة أبي فهر محمود محمد شاكر على طبقات فحول الشعراء ، ص : ١٢٧ ، ٣٧٦ ، وهو الذي هداني إلى أن مسلمة هذا هو الذي روى عنه المدائني ، وكنت قد حرت في أمره ، ومنه أفدت أكثر هذا الذي قلته فيه .

والموضع الثاني الذي حكى فيه أبو الفرج خبرها كان فيما ألحقه بـ « أخبار النعمان بن بشير ونسبه » من ذكر الشعراء من ولده ١٦ :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥٣ ـ ٥٤ . ويظهر مما عقب به في أواخر الخبر على بعض ما جاء فيه أنه حكاه في هذا الموضع من رواية خالد بن كلثوم ، كما يظهر من كلامه في مواضع قبل ذلك ص : ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٨ أن ما حكاه في هذه البابة عن خالد هذا من شعر النعمان وخبره وخبر ولده نسخه من « كتاب أبي سعيد السكري في مجموع شعر النعمان » وأن الكتاب كان بخط أبي سعيد نفسه ، وأن أبا سعيد روى ذلك عن محمد بن حبيب عن خالد . وقد استهلّ خالد ذكرها بقوله : « .... وبنت النعمان بن بشير ، واسمها حميدة ، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشرّ ، فكانت تهجو أزواجها .... » ثم ساق خبرها مع أزواجها وما قالته فيهم . وعمود الخبر يكاد يكون في روايته ورواية عمر بن شبة واحداً ، غير أنها اختلفا في أشياء مألوف الاختلاف في مثلها ، ومنها أن خالداً جعل قولها : « وهل أنا إلا مهرة .... » البيتين مما قالته في الفيض لا في روح . وهذه الرواية هي التي تقدّم أنها شذّت في ذلك عن سائر الروايات .

وأبو سعيد الذي نسخ أبو الفرج من كتابه بخطه هو الراوية الكبير المكثر المجوّد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكريّ (ت ٢٧٥ هـ) قال فيه الخطيب : « كان ثقه ديّناً صادقاً يقرئ القرآن ، وانتشر عنه من كتب الأدب شيء كثير » وحكى ابن النديم أنه كان حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام ، مرغوباً في خطه لصحته . ثم ذكر أنه عمل أشعار جماعة من الفحول ، وقطعة من القبائل . وما انتهى إلينا من صنعته ـ ولاسيما ديوان الفرزدق ، وشرح أشعار الهذليين ـ يصدّق قول ياقوت فيه : « كان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ ، والفهرست ، ص : ٧٨ (ط . ليبسك) ٨٦ (ط . طهران) والمنتظم ٥ : ٩٧ ، ومعجم الأدباء ٨ : ٩٤ ، وفي إنباه الرواة ١ : ٢٩١ وسائر ما ذكره محققه من مصادر . وانظر أيضاً مقدمة الدكتور شاكر الفحام للجزء الذي نشره المجمع بالتصوير من ديوان الفرزدق ـ صنعة أبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سعيد هذا ، وما كتبه أيضاً في كتابه : الفرزدق ، في « توثيق نسخة الديوان » ص : ٢٣٩ ـ ٢٥٢ .

وشيخه محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) قال فيه ابن النديم : « كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل ، وعمل قطعة من أشعار العرب . روى عن ابن الأعرابي ، وقطرب ، وأبي عبيدة ، وأبي اليقظان وغيرهم . وكان مؤدّباً وكتبه صحيحة » . وقد وثقه الخطيب قال : « كان عالما بالنسب وأخبار العرب ، موثّقاً في روايته » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢٧٧ ، والفهرست ، ص : ١٠٦ (ط . ليبسك) ١١٩ (ط . طهران) ومعجم الأدباء ١٨ : ١١٢ ، وفي إنباه الرواة ٣ : ١١٩ وسائر ما ذكره محققه من مصادر .

وأما خالد بن كلثوم فأجمع ما وجدت في ترجمته ما ذكره ابن النديم في الفهرست ، ص : ٦٦ (ط . ليبسك) ٧٣ (ط . طهران) وهو يعدد علماء الكوفيين قال : « ومن علمائهم أيضاً ورواتهم خالد بن كلثوم الكلبي من رواة الأشعار والقبائل وعارف بالأنساب والألقاب وأيام الناس ، وله صنعة في الأشعار والقبائل ـ هذه الحكاية من خط ابن الكوفي . وله من الكتب كتاب الشعراء المذكورين ، كتاب أشعار القبائل ويحتوي على عدّة قبائل » . وقد شهد له ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ، ص : ١٤٨ بأنه « من أهل العلم » . وحكى أبو الطيب في مراتب النحويين عن أبي حاتم مقالة في المفضل قال بعدها ، ص : ٧٢ : « ثم كان خالد بن كلثوم صالح العلم بالشعر ، وكان أوسع في العربية من المفضل » . ولم أجد تاريخاً لوفاته ، غير أن الزبيدي ذكره في طبقاته ، ص : ٢١١ (الطبعة الأولى) في الطبقة الثانية من اللغويين الكوفيين بعد المفضل الضبي (ت ١٦٨ ، أو ١٧١ هـ) وأبي محمد الأموي ، وقبل محمد بن عبد الأعلى (ت ٢٠٧ هـ) وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ ، وقيل : ٢١٠ ، ٢١٦ هـ) ولم يزد على إثبات اسمه شيئاً . وكأنه يلمح إلى أنه إلى الأخيرين أقرب ، وجملة ما اجتمع لي من أخباره يصدق ذلك ويرجح أنه توفي بعد المئتين . ومن أخباره ما يفيد ـ إن صح ـ أنه ولد في أواخر المئة الأولى . وبسط ذلك كله وتحقيق القول فيه يحتاج إلى مقالة مفردة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسند هذه الرواية جيد ، غير أن ابن حبيب لم يصرّح بالسماع من خالد ، ولا أرى سماعه منه مستبعداً ، فقد روى عن غير واحد من طبقته .

وبعد ، فهؤلاء ثلاث روايات مختلفات المخارج حكاهنّ أبو الفرج ، وسند كل منهن من صالح ما يحكى به هذا الضرب من الأخبار ، ورواية ابن أبي طاهر تعضد أولاهنّ ، ثم إنهن يقوّي بعضهن بعضاً ، وقد اجتمعن على أن هذه التي تزوّجها روح من بنات النعمان بن بشير تدعى حميدة ، وفي ذلك أبين الدلالة على أن هذا هو الثابت المشهور عند أصحاب هذا الشأن العارفين بالسير والأنساب وأخبار الناس .

ويصدّق ذلك المصدران اللذان سلفت الإشارة إليهما :

وأولهما : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) وهو أجمع ما بين أيدينا اليوم من كتب الأنساب ، وقد ذكر فيه ، وهو يعدد ولد النعمان بن بشير ص : ٣٦٤ ـ من شأن حميدة هذه نحو ماجاء في الأغاني عن خالد بن كلثوم ، قال : « .... وحميدة تزوّجها روح بن زنباع ثم الفيض بن أبي عقيل الثقفي ، وكانت شاعرة مجيدة مكثرة ، وكانت تهجو زوجيها جميعاً هجاء كثيراً .... » ثم أنشد بيتاً مما قالته في روح ، وآخر مما هجت به الفيض . وما كان ابن حزم ليثبت في كتابه إلا ما صحّ عنده ، واستقاه من أوثق ما اجتمع له من أصول هذا العلم .

والآخر : تاريخ دمشق ، للحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) فقد ترجم في قسم النساء ، منه ، الورقة ١٠٥ ـ ١٠٦[٩] (مخطوط المتحف البريطاني) التي تزوجها روح من بنات النعمان باسم « حميدة بنت النعمان بن بشير ، أم محمد الأنصارية » مع أنه حكى خبرها معه من رواية لم يصرّح فيها باسمها ، ويظهر أنه اعتمد في ذلك على ما حكاه ثَمَّ بسنده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ـ وهذا أهمّ ما يعنينا هنا ـ قال : « أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، حدثنا الحسن بن عليّ ، نا أبو عمر بن حيويه ، نا أحمد بن معروف ، نا الحسين بن فهم ، نا محمد بن سعد ، « فولَدَ النعمان بن بشير الوليدَ ويحيى وبشيراً ـ وأمهم أمّ ولد ، وأمّ محمد ، وهي حميدة[١٠] ، تزوّجها روح بن زنباع الجذاميّ ـ وأمها ليلى بنت هانئ بن الأسود من كندة ثم من بني الجون ، وعمرةَ تزوّجها المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وهي التي قتلها مصعب بن الزبير ـ وأمّها ليلى بنت هانئ الكنديّ . وذكر غيرهم » .

وابن سعد ـ كما جاء في ترجمته في تهذيب التهذيب ٩ : ١٨٢ ـ « أحد الحفّاظ الكبار الثقات المتحرّين » . ونعته الحافظ الذهبي بـ « الإمام الحبر » و بـ « العلامة الحافظ الحجة » وقال فيه أيضاً : « كان من أوعية العلم ، ومن نظر في « الطبقات » خضع لعلمه » . انظر ترجمته له في العبر ١ : ٤٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ : ٦٦٤ . ويظهر أن الحافظ ابن عساكر نقل ما حكاه عنه من رواية لطبقاته الكبير تلقاها بالسند الذي ذكره ، وهو من أعلى أسانيده :

شيخه محمد بن عبد الباقي أبو بكر البزاز الأنصاري السلمي (ت ٥٣٥ هـ) قال فيه ابن الجوزي : « كان فهماً ثبتاً حجة متقنًا في علوم كثيرة ، منفرداً في علم الفرائض » ونعته الحافظ الذهبي بـ « مسند العراق » و « مسند الدنيا » ونص أنه « انتهى إليه علوّ الإسناد في زمانه » انظر ترجمته في المنتظم ١٠ : ٩٢ ، والعبر ٤ : ٩٦ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٨١ .

وشيخه الحسن بن علي الشيرازي ، أبو محمد الجوهري (ت ٤٥٤ هـ) قال فيه ابن الجوزي : « كان ثقة أمينًا » ونعته الذهبي بـ « مسند الآفاق » وذكر أنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« انتهى إليه علوّ الرواية في الدنيا » . انظر ترجمته في المنتظم ٨ : ٢٢٧ ، والعبر ٣ : ٢٣١ ، وتذكرة الحفاظ ١١٢٨ .

وشيخه أبو عمر بن حيويه محمد بن العباس الخزّاز البغدادي (ت ٣٨٢ هـ) نعته الذهبيّ بـ « المحدث الحجة » وقال فيه الخطيب : « ثقة كتب طول عمره ، وروى المصنفات الكبار مثل طبقات ابن سعد ، و .... » انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ١٢١ ، والعبر ٣ : ٢١ ، والوافي ٣ : ١٩٩

وشيخه أحمد بن معروف أبو الحسن الخشاب (ت ٣٢١ هـ) ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ٥ : ١٦٠ وقال : « وكان ثقة » .

وشيخه الحسين بن محمد بن فهم (ت ٢٨٩ هـ) وثقه الخطيب ، وقال فيه الذهبي : « أحد أئمة الحديث ، أخذ عن يحيى بن معين ، وروى الطبقات عن ابن سعد » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، والعبر ٢ : ٨٣ ، وتذكرة الحفاظ ٦٨٠ .

وهذا الذي اجتمع لتسميتها حميدةَ من أسباب التوثيق لم يُتَح شيء منه لما سُمِّيت فيه هنداً . وذلك أن ما أضيف منه إلى زاوية بعينه من أهل العلم لايعدو ، فيما وقفت عليه ، ثلاث روايات لا تخلو واحدة منهن من علّة موهنة ، وهن حكاية ابن عبد ربه لخبرها في العقد ، ثم حكاية صاحب أخبار النساء له أيضاً ، ومن قبلها رواية ابن قتيبة للبيتين .

أما ابن عبد ربه فحكى الخبر معلّقاً عن أبي الحسن المدائني ، وقد سلف التعريف به ، وأما صاحب أخبار النساء فحكاه معلّقاً عن عبد الملك بن عمير (ت ١٣٦ هـ) وهو تابعي معمّر تغيّر حفظه قبل موته ، فوثّقه بعضهم ، وقال آخرون : ليس به بأس ، وضعفه الإمام أحمد ، وقال فيه يحيى بن معين : مخلّط . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥ : ٤٣٨ وما ذكره محققوه من مصادر . وإذا تجاوزنا عن هذا وعن التعليق في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلتا الحكايتين وما يعود به عليها من وهن فإن كلتيهما أيضاً مظنّة أن يكون اسم « هند » مقحماً فيها على أصل المؤلف ، وأن يكون أصل الرواية فيهما « بنت النعمان بن بشير » بلا تسمية لها ؛ يؤنس بذلك أن البيت الأول جاء في أخبار النساء برواية « وهل أنا إلا مهرة .... » كما يرويه من يسمّيها حميدة ، وأنه جاء كذلك في بعض أصول العقد أيضاً كما ذكر ناشروه . ويزيد الريبة في إقحام هذا الاسم على أصل العقد خاصّة أن الحافظ ابن عساكر حكى الخبر بنحوه بسنده عن المدائنيّ غير مصرَّح فيه باسمها . ثم إن تسميتها في الحكاية عن المدائني هنداً معارَضة أيضاً برواية أبي الفرج لخبرها بسنده عن المدائني عن مسلمة وقد سُمِّيت فيها حميدةَ .

وأما ابن قتيبة فإنه نزع البيتين في أدب الكاتب شاهداً على معنى « الإقراف » في الخيل وفرق ما بينه وبين « الهجنة » ونسب إنشادهما إلى أبي عبيدة ، ولم يزد على ذلك شيئاً . وأما في غريب الحديث فنسب التفسير وإنشاد البيتين جميعاً إلى أبي عبيدة ، وصرّح بطريق حكاية ذلك عنه ، ثم ذكر حكاية عنه أخرى في تفسير « الإقراف » قال : « قال أبو عبيدة : الهجنة من قبل الأم ، والإقراف من قبل الأب ، وأنشد لهند بنت النعمان بن بشير في روح بن زنباع .... » وذكر البيتين وقال عقبهما : « هكذا رواه يعقوب عمن سمعه من أبي عبيدة . والذي حكاه لي أبو حاتم عن أبي عبيدة في « كتاب الخيل » أنه قال : الإقراف أن يضرب فيها عرق البراذين[١١] ، ولم يذكر من أي جهة ذلك » .

فهذان قولان مختلفان عن أبي عبيدة في معنى « الإقراف » حكى ابن قتيبة ثانيهما عن شيخه أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٤ هـ)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنه ، وأما الأول الذي زعم حاكيه أن أبا عبيدة أنشد البيتين لهند فيظهر أن ابن قتيبة نقله من بعض كتب يعقوب ، وهو يعقوب بن إسحاق السّكّيت (ت ٢٤٤ هـ) وهذا رواه عمن سمعه من أبي عبيدة . وابن قتيبة مأمون في نقله ، ويعقوب ثقة أمين أيضاً ، انظر ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة ٤ : ٥٠ ، غير أن روايته هذه مغموزة من قبل أنه لم يسمّ السامع من أبي عبيدة ، وهي مغموزة من وجه آخر ، بخلافها لما حكاه أبو حاتم عن أبي عبيدة ؛ فإن أبا حاتم كان ـ كما قال أبو الطيب في مراتب النحويين ، ص : ٨٠ ـ « في نهاية الثقة والإتقان ، والنهوض باللغة والقرآن ، مع علم واسع بالإعراب أيضاً » وحكايته أحرى بالصحة من حكاية مجهول لم يُسَمّ . ثم إن رواية هذا المجهول للبيتين عن أبي عبيدة وتسمية قائلتها هنداً خلاف الثابت في كتاب أبي عبيدة : مجاز القرآن ـ وقد أنشدهما فيه شاهداً على معنى « السلالة » ـ فإنه اقتصر في نسبتها ، كما ذكرتُ فيما قبل ، على أن قال : « قالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية » . ولم يذكر لها اسما ، وكانت روايته في البيت الأول : « وهل كنتُ إلا مهرة .... » لا « وهل هندٌ إلا مهرة .... » كما حكى عنه هذا المجهول .

وإذا كان الأمر على ما ذكرتُ فالظاهر أن راوية قديما ـ لعله هذا الذي سمع منه يعقوب إن لم يكن آخرَ أقدم منه ـ ضيّع أصل الرواية في أوّل البيتين ، فجعل « وهل هندٌ » مكان « وهل أنا » أو « وهل كنت » ، وأن قائلتها ـ وقد عُرِف أنها بنت للنعمان بن بشير ـ إنما سُمّيت هنداً تبعاً لذلك لا لرواية صحّت بأن هذا اسمها عن ثقة من العارفين بالأخبار والأنساب . ثم قدر لهذا القول أن ينقله لاحق عن سابق حتى كاد يطغى على ما اجتمعت الأدلة على صحته من أن اسمها حميدة . وأكبر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ظني أن حكاية يعقوب ثم ابن قتيبة له كانت من أقوى الأسباب في ذيوعه .

وقد ذكر ابن السيد في الاقتضاب ، ص : ٣٠٦ ، ثم ابن خلّكان في الوفيات ٣ : ٩٥ وهما يحكيان هذا الخلاف في نسبة البيتين أن جيدة أخت هند . وإني لفي شك من أن يكون للنعمان بن بشير بنت باسم هند أصلا . ولا عبرة بأن ابن قدامة أثبت له في كتابه الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار بنتًا بهذا الاسم ؛ فإني لم أجد له في ذلك سلفاً من عدّدوا ولد النعمان أو عدّوا منهم . ثم إنه ذكرها على أنها « كانت زوج روح بن زنباع ، فهجته بأبيات » ذكر منها هذين البيتين ، وقد تبيّن مما سبق خطأ هذه المقالة . هذا إلى أن الرجل قصد في كتابه ـ كما يدلّ اسمه ـ إلى بيان نسب من له صحبة من الأنصار ولم يكن من همه أن يستقصي ذكر من لاصحبة له من ولدهم وتحقيق القول في ذلك ، وإنما قد يذكر منهم من أطفّ له ذكره . ويظهر أنه اعتمد فيه أكثر ما اعتمد على ما ألف قبله في الصحابة خاصة وفي رجال الحديث عامة ، ومن ثمّ لم يذكر للنعمان بن بشير من الولد الذكور إلا محمداً الذي يترجمه المؤلفون في رجال الحديث ، والظاهر أنه لم يرو الحديث عن النعمان من ولده غيره ـ انظر ترجمة النعمان في سير أعلام النبلاء ٣ : ٤١١ والمصادر المذكورة فيه ، وانظر ترجمة ولده محمد في الجرح والتعديل ٤ / ١ : ١٠٧ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٩٢ ، ثم ذكر هنداً فيما ذكرها به ، ولعلّه علق بذهنه أن هذا اسم التي تزوّجها روح من كتاب ابن قتيبة : غريب الحديث ؛ فإنّ قراءته له ثابتة في مخطوط الظاهرية منه ، وهو بخطّ ابن خالته ورفيقه في الرحلة والطلب الحافظ عبد الغنيّ بن عبد الواحد المقدسيّ (ت ٦٠٠ هـ) : جاء في أعلى صفحة العنوان من الجزء الأوّل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منه ذات الشمال : « قرأه كله عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي على أبي الحسين » ويظهر أنه هو الذي كتب ذلك . وبقراءته له على أبي الحسين المذكور ـ وهو المحدّث الثقة أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي (ت ٥٧٥ هـ) ـ ثبت سماع لجماعة في كلا الجزأين المتبقّيين من هذه النسخة . (انظر نص السماعين ١ و ٣ في مقدمة محققه الدكتور عبد الله الجبوري ، ص : ٩٤ ـ ٩٥ ، ٩٦ ، وصورة صفحة العنوان من الجزء الأول ، ص : ١٢٥)

وكما كانت رواية « وهل هند » ـ فيما قدّرتُ ـ مدعاة إلى أن نُمّيت زوج روح هنداً كانت ـ فيما يظهر أيضاً ـ السبب فيما شذّ عن الروايات والأقوال السالفة ، فنسب البيتين إلى غيرها . وقد قدّمتُ أن ما وقفتُ عليه من ذلك لا يعدو خبراً لا يُعْرَف له مخرج ، ومقالة لأبي الفرج خالف فيها ما حكاه عن رجاله .

أما الخبر فجاء في كتاب المحاسن والأضداد ، ص : ١٢٠ ـ ١٢١ (ط . الخانجي) ولم يُسَمَّ حاكيه ، وقد نُسِب فيه البيتان إلى هند بنت أسماء الفزارية في زوجها الحجاج . والكتاب منسوب إلى الجاحظ وهو منه براء .

ومجمل الخبر أن الحجاج قال لابن القِرِّيّة : ما تقول في التزويج ؟ فأجابه بجواب بسط فيه لسانه ، فأمره أن يخطب عليه هنداً بنت أسماء ولا يزيد على ثلاث كلمات ، ففعل ، وتزوجها الحجاج ، ثم دخل عليها يوماً وهي تقول البيتين ، فخرج مغضباً وأمر ابن القرّيّة أن يطلّقها عنه ولا يزيد على كلمتين ، ففعل . وخبرُ أمره ابنَ القرّية بخطبتها عليه حكاه بنحوه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ٦٩ ، وأبو حيان التوحيدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في البصائر والذخائر ٢ : ٧٨٤ ولم ينسباه إلى راو . وكذلك حكى ابن قتيبة في الكتاب نفسه ٢ : ٢٠٩ خبر أمره له بتطليقها عنه بنحوه ، وجاء أيضاً في ترجمة الحجاج في وفيات الأعيان ٢ : ٤٤ في ختام زيادة انفردت بها إحدى نسخه ، ولم يرد فيها ذكر للبيتين وأنها كانا سبب طلاقها . فخبرُ المحاسن والأضداد بجملته ، وما جاء في المصادر الأخرى من تفاريقه كلُّها ، كما ترى ، مجهولة المخرج لا زمام لها . وكذلك سائر ما وقفتُ عليه من أخبار ابن القرّيّة وما يُنسَب إليه من أقوال ليس فيها ما يُسْنَد إلى معروف من أهل العلم ، والاضطراب فيها غير قليل[١٢] . ويزيد الريبة فيها أن أمر الرجل نفسه غامض ، حتى إنه حُكِي عن بعض أهل العلم أنه ممّن لا يُعرَف إلاّ بالاسم ولم يكن في الدنيا قط . انظر ما حكاه أبو الفرج في الأغاني ٢ : ٣ بسنده عن الأصمعيّ فيه وفي المجنون ، وما حكاه ٢ : ٩ أيضاً بسنده عن عوانة فيهما وفي ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم . ومما يسقط الخبر أيضاً أنه خلاف المعروف عند كبار الأخباريين ، فقد جاء فيما حكاه أبو الفرج في الأغاني ٢٠ : ٣٦٤ ـ ٣٦٧ من خبر هند هذه مع الحجاج من رواية المدائني وابن شبة عن رجالها أن الذي خطبها عليه قاضيه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري . وأما سبب طلاقها فكان ـ فيما نقله ٢٠ : ٢٨٦ عن المدائني ـ أنه لما عزم عليها لتخبرنّه أرأت أحسن من قصره ؟ أجابت بأنها لم تر أحسن من القصر الأحمر ، وكان عبيد الله بن زياد ـ وهو أوّل أزواجها وأحبّهم إليها ـ بنى هذا القصر بطين أحمر ، فطلّقها الحجاج غضباً مما قالته ، وبعث إلى القصر الأحمر فهدمه وبناه بلبن . وقد جاء في سبب ذلك خبر آخر حكاه المبرد في الكامل ، ص : ٤٤٩ (ط . الحلبي) ولم ينسبه إلى أحد ، وكذلك حكاه ابن خلكان في الوفيات ٢ : ٥٣ ـ ٥٤ وكأنه نقله عن الكامل بتصرف يسير وأدرج فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلاماً من كلامه توضيحاً وبياناً ؛ قال المبرد ـ وقد زدت ما أدرجه ابن خلكان بين حاصرتين : « وكان الحجاج رأى في منامه أنّ عينيه قُلِعتا ، فطلّق الهندين : هنداً بنت المهلب ، وهنداً بنت أسماء بن خارجة [اعتقاداً منه أن رؤياه تتأول بها] فلم يلبث أن جاءه نعيّ أخيه (محمد) في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد ، فقال : هذا والله تأويل رؤياي ، ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، محمد ومحمد في يوم واحد .... » . والنفس إلى ما نقله أبو الفرج عن المدائني أركن ، وأيّاً ما كان الأمر فلا ريب أن خبر المحاسن والأضداد واهٍ يشبه أن يكون مصنوعاً ، ومماانفرد به من نسبة البيتين إلى هند بنت أسماء ظاهر البطلان .

وأما أبو الفرج فإنه عقب على البيتين في رواية خالد بن كلثوم لخبر حميدة ١٦ : ٥٤ قال : « هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها ، وغيره يرويها لمالك بن أسماء لما تزوّج الحجاج أخته هنداً » . وقد أغرب أبو الفرج في هذه المقالة ، ويظهر أنه سها عن مجيء البيتين لحميدة فيما كان حكاه من خبرها ٩ : ٢٢٧ ـ ٢٣٣ عن غير خالد أيضاً . ولم أجد لهذا الذي قال شاهداً مصدقاً من روايته ولا من رواية غيره ؛ فعلى طول تتبعي لروايات البيتين لم أجد من نسبها إلى مالك قط ، وقد حكى هو نفسه ١٧ : ٢٣٠ ـ ٢٣٩ ما وقع إليه من أخبار مالك هذا وما لقيه على يدي الحجاج من مكروه ، ثم حكى ٢٠ : ٣٦٣ ـ ٣٦٨ ما وقع إليه من أخبار أخته هند أيضاً ، فلم يحك في كلا الموضعين أنه هجا الحجاج قط ، وفي ذلك ما يرجح أنه لم يقع إليه بما ذكره خبر ، وأن تلك المقالة سهوة من سهواته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ب ـ وقال الأستاذ في ذكر الأمر الثاني : « ومنها : أن الأكثر في رواية البيت :

فإن أنجبت مهراً عريقاً فبالحرى وإن يك إقراف فما أنجب الفحل[١٣]

وبها ينتفي منه الإقواء ».

هذا ماقاله الأستاذ . وقد فاتته روايات غير قليلة ظني أنه لو وقف عليها ونظر فيها وفيما اجتمع له من الروايات أيضاً نظرة متأنية واعتبر مخارجها لما سارع إلى البتّ بهذا الذي قال . ويظهر أنّ مما أغراه بذلك أيضاً كراهيته للإقواء ، وقد بلغ من كرهه له أن جاء في كلامه في الفقرتين : ٣٠ و ٥٠ مايوحي أنه يجيز لنفسه ماكان يستجيزه بعض المتقدّمين من تقويم ماجاء منه في الشعر القديم . وما أظنّ أحداً ممّن يُعنى اليوم بنقد النصوص وتحقيقها يقرّ هذا المذهب . والإقواء ـ وإن كان عيباً ـ كثير في شعر الأعراب ومن دون الفحول من الجاهليين والإسلاميين ، بل لقد ارتكبه بعض الفحول من هؤلاء أيضاً . وقد ذكر غير واحد من شيوخ العربية والرواية أن القوم كانوا لايستنكرونه ولا يرونه عيباً . وليس من همي ههنا أن أستقصي ماقيل في تعليل ذلك وبيان المختار منه ، وحسبي أن أشير إلى أن جمهور المتقدّمين كانوا يلتمسون لهم العذر فيه على حين لايجيزونه لمولّد . انظر طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، ص : ٧١ (وقد حكى المرزباني في الموشح ، ص : ١٧ كلامه بتصرف يسير ، وسلخ جانباً كبيراً منه قدامة في نقد الشعر ، ص : ١٠٩ (ط . ليدن) من غير مالإشارة إليه) وكتاب القوافي ، لأبي الحسن الأخفش ، ص : ٤١ ـ ٤٢ (ط . وزارة الثقافة بدمشق) ٤٦ ـ ٤٧ (ط . دار الأمانة ببيروت) والأشباه والنظائر ، للخالديين ٢ : ٥٥ ، ورسالة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغفران ، ص : ٢١٣ (ط . دار المعارف الثانية) والمحكم ، لابن سيده ٦ : ٢٨٣ ـ ٢٨٦ ، وقد نقل ماجاء فيه ابن منظور في اللسان (قوى) . وانظر أيضاً ماكتبه د . شاكر الفحام في كتابه : الفرزدق ، ص : ٤٥٨ ـ ٤٦٠ عن الإقواء في شعره .

وإذا كان الأمر كذلك فليس من الغريب أن تقوي قائلة هذين البيتين ، بل إن النظر في رواياتها ليقضي أن رواية الإقواء هي الأثبت والأشبه بأن تكون المحفوظة ، وذلك أني لم أجد أحداً رواهما بغير الإقواء حتى أواخر المئة الثالثة ، فبالإقواء جاءا في رواية أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) في مجاز القرآن ٢ : ٥٥ ـ وهي ، كما أسلفتُ ، أقدم ما وقفت عليه من رواياتها ـ وفي رواية الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في كتاب البغال ـ رسائله ٢ : ٣٥٨ ، وكذلك أثبتها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابيه : أدب الكاتب ، ص : ٤٢ (ط . ليدن) وغريب الحديث ٢ : ٣٢٦ . ونسب إنشادهما ـ كما سلف ـ إلى أبي عبيدة . ثم كانت هذه الرواية هي التي يحكيها فيما بعد ذلك أصحابُ اللغة ، وهم أحرص من غيرهم على الحفاظ على أصل الرواية ، فبها أنشدهما أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) في تهذيب اللغة ٦ : ٦٠ وهما عنه في اللسان (هجن) وكذلك أنشدهما من قبله ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) في تصحيح الفصيح ١ : ١٨٤ غير منسوبين . وقد جاء البيت الثاني وحده بهذه الرواية أيضًا في شرح النقائض ، ص : ٥٧٥ . وكذلك أنشده ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في مقاييس اللغة ٥ : ٧٤ ، ثم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في أساس البلاغة (قرف) ولم ينسباه .

وبالإقواء أيضًا جاء البيتان في رواية خالد بن كلثوم لخبر قائلتها (حميدة) في طبعة بولاق من الأغاني ١٤ : ١٣٠ ، وتبعتها طبعة الساسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٤ : ١٢٥ ، وأما طبعة دار الكتب ١٦ : ٥٤ فأُخذ فيها برواية « فما أنجب الفحلُ » وقد انفردت بها إحدى نسخه . وبهذه الرواية الأخيرة جاءا في رواية عمر بن شبة للخبر في طبعات الأغاني الثلاث (ط . بولاق ٨ : ١٣٩ ، وط . الساسي ٨ : ١٣٥ ، وط . دار الكتب ٩ : ٢٣٠) وأكبر ظني أنها مما غيّره بعض الرواة أو النساخ ، وأن عمر إنما أنشدهما بالإقواء كما جاء في رواية صاحبه ابن أبي طاهر للخبر عنه في بلاغات النساء ، ص : ١٣٠ .

ومع أن ابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) أنشد البيتين في الوفيات ٣ : ٩٥ برواية « فما أنجب الفحل » فإنه قال عقبها : « ويروى : « فمن قبَل الفحلِ » وهو إقواء » .

وأقدمُ ما وقفتُ عليه من المصادر التي جاء فيها البيتان خلواً من الإقواء هو العقد ، لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وقد جاءا فيه ٦ : ١١٥ برواية « فما أنجب الفحل » أيضاً ، وهي التي ذكرها الأستاذ . وهذه الرواية ليست بالرواية الوحيدة التي ينتفي بها الإقواء ، بل هي إحدى روايات ثلاث ذكرها أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) في شرحه لأدب الكاتب ، ص : ١٥٠ بعد أن نقل البيتين برواية الإقواء كما أثبتها ابن قتيبة ، قال : « ... وفي البيت إقواء ، ويروى : وإن يك إقراف فأقرفه الفحلُ ، ويروى : فما أنجب الفحل ، ويروى : فجاء به الفحل » . وقد روي أيضًا : « فقد أقرف الفحل » و « فقد خانها الفحل » . وتعدّد هذه الروايات من جهة ، وتأخّر المصادر التي جاءت فيها من جهة أخرى ، مما يؤكد أن رواية الإقواء هي القدمى المحفوظة ، وأنّ ما سواها من صنيع بعض الأدباء أو المتأدّبة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تنبيه : ما ذكرته من أني لم أجد أحداً روى البيتين بغير الإقواء حتى أواخر المئة الثالثة لا يرد عليه أنهما جاءا برواية لا إقواء فيها في إحدى طبعات أدب الكاتب المتداولة ، وهي الطبعة التي قام عليها الشيخ محيي الدين عبد الحميد رحمه الله . فقد تسلل إلى نسخ من الكتاب على أيدي كاتبيها عدّة روايات من هذا القبيل ، انظر التعليق على البيتين في طبعة ليدن منه ص : ٤٢ . وجاء غير رواية منها في نقل بعض العلماء السابقين عنه : نقلها عبد القادر البغدادي عنه في شرح شواهد المغني برواية « فجاء به الفحل » ومن قبله نقلها ابن السيد في الاقتضاب ، ص : ٣٠٦ برواية « فقد أقرف الفحل » وهي التي أخذ بها تبعاً له الشيخ محيي الدين عبد الحميد في نشرته لأدب الكاتب ، ص : ٤٤ (الطبعة الأولى) وكان ابن السيد نفسه قد نقلها ص : ١١٧ برواية « فما أنجب الفحل » إلا أنه قال عقبها ثمة : « رويناه عن أبي علي البغدادي : « فمن قِبَل الفحل » على الإقواء » ـ يعني في روايته لأدب الكاتب ، وأبو علي المذكور هو القالي (ت ٣٥٦ هـ) ـ وأهل الأندلس يقولون في نسبته : البغدادي ، لأنه قدم عليهم من بغداد ـ وكان أبو علي قد أخذ الكتاب عن ولد مؤلفه ابن قتيبة : القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم ، وأخذه عنه غير واحد من أهل الأندلس . انظر فهرست ابن خير ، ص : ٣٣٢ ـ ٣٣٥ . وما رواه أبو علي هو ما أثبته ابن قتيبة بلا ريب ، وما سواه دخيل على أصل الكتاب ، يقطع بذلك أن الجواليقي نقلها عنه بالإقواء أيضاً ، وأن ابن قتيبة نفسه أثبتها كذلك في غريب الحديث أيضاً ، هذا إلى أنه نسب إنشادهما في كلا الكتابين إلى أبي عبيدة ، وهذا قد أنشدهما في كتابه مجاز القرآن بالإقواء .

ج ـ وقال الأستاذ في ذكر الأمر الرابع : « ومنها : أن أهل العلم لم يرتضوا رواية « بغل » كابن السِّيد البطليوسي ، لأن البغل لا ينسل » .

ومن الغريب أن الأستاذ لم يحل في هذا الذي قال على مصدر ، وأغرب منه أنه سها عن ذكر الوجه الذي ارتضاه من أسماهم « أهل العلم » . والمصدر الذي لهج صاحبه بذكر هذا الأمر ، ومنه استقى من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقدّم الأستاذ إلى الكلام فيه ، هو كتاب الاقتضاب لابن السّيد وقد تكلّم في المسألة في ثلاثة مواضع منه ذكرها شيخنا العلامة الميمني ، رحمه الله ، في تعليقه على البيتين في السمط ، ص : ١٧٩ . ونصّ ما قال في الموضع الأول ، ص ١١٨ : « وقد أنكر كثير من الناس رواية من روى « بغل » بالباء لأن البغل لا ينسل . قالوا : والصواب « نَغْل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدوابّ ، وأصله « نَغِل » بكسر الغين على مثال « فَخِذ » فسكّن تخفيفًا كما يقال في « فخِذ : فَخْذ » . وقال في الموضع الثاني ، ص ٢٠٢ : « .... وقد قيل في رواية من روى « سليلة أفراس تجلّلها بغل » : إنه تصحيف ، لأن البغل لا ينسل شيئاً ، وإن الصواب « نَغْل » بالنون ، يريد فرساً هجيناً » . ولما صار إلى شرح البيتين في القسم الثالث من الكتاب ، ص : ٣٠٦ أثبت في البيت الأول لفظ « نَغْل » مكان « بَغْل » وقال عقبها : « وروى أبو علي « تجلّلها بغل » بالباء ، وأنكر كثير من أصحاب المعاني هذه الرواية ، وقالوا : هي تصحيف لأن البغل لا ينسل ، والصواب « نَغْل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدوابّ ، وأصله « نَغِل » بكسر الغين ، ثم تخفّف الكسرة فيقال : « نَغْل » كما يقال [في] « فَخِذ : فَخْذ » .

وقوله في العبارة عن المنكرين في الموضع الأول : « كثير من الناس » يبيّنه قوله في الموضع الأخير : « كثير من أصحاب المعاني » يعني الذين يتقصّون النظر في المعاني ويستثيرون ما استترّ منها ، وينبهون على ما قد يكون فيها من مغامز خفية ، وبين قوله هذا وقول الأستاذ : « أهل العلم » بون بعيد .

وكما اعتدّ الأستاذ بمقالة هؤلاء اعتدّ بها قبله الشيخ محي الدين عبد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحميد ، رحمه الله ، في نشرته لـ « أدب الكاتب » فأثبت في البيت ما رأوه الصواب ـ أي « نغْل » ـ وحكى في التعليق عليه ماذكره ابن السِّيد بتصرّف لا يخلو من إخلال . وقد تقدّمه إلى نحو ذلك عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) في شرح شواهد المغني ٢ : ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، وذلك أنه نقل البيتين عن أدب الكاتب مع ماتقدّمها من كلام ابن قتيبة ، وأحلّ أيضاً « نغْل » محلّ « بَغْل » ثم فسّره بـ « الدنيء والخسيس » ولم يشر إلى أن أصله « نَغِل » بكسر الغين .

وهذا الذي حكاه ابن السِّيد كان متعارَفاً ـ كما أشار العلامة الميني في السمط ، ص : ١٧٩ ـ عند أهل قطره : الأندلس ، وقد جاء نحوه في تعليق بعضهم على كتاب « الدلائل » (انظر حديث الشعبي في صفة الغيث ـ الموضع الذي سلف ذكره) وحكاه من متأخّري المشارقة أبو محمد بن برّي (ت ٥٨٢ هـ) ونقله عنه ابن منظور في اللسان (سلل) ويظهر أنه وقع إلى أبي محمد من قِبَل الأندلسيين وكان قد قرأ على أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني (ت ٥٥٠ هـ) وأبي طالب عبد الجبار بن محمد المعافريّ القرطبي (ت ٥٦٦ هـ) منهم . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣ : ١٠٨ .

وفي هذا الذي قاله هؤلاء نظر ؛ إذ الظاهر أن مارأوه الصواب ـ أي « نغل » بالنون ـ لم ترد به رواية قط ، وأن رواية « تجلّلها بغْل » هي المحفوظة ولا رواية غيرها ؛ رواه كذلك أبو عبيدة والجاحظ ثم سائر من أنشد هذا الشعر من أصحاب اللغة والأخباريين من أهل المشرق . والقطع بأن ما أطبق هؤلاء على روايته تصحيف تقوّلٌ بحت ودعوى مجرّدة وإن سُلِّم لمنكري هذه الرواية بأن وضع « البغل » في هذا الموضع مدخول من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوجه الذي ذكروه كان ذلك مغمزاً في الشعر نفسه لا في رواية من أدّوه كما سمعوه . على أنه قد يُعتذَر لصاحبة هذا الشعر بأنها لما جعلت المهرة العربية مثلاً لها في خلوص نسبها جعلت البغل مثلاً لروح في ائتشاب نسبه ، ولم ترد أنه مثله من كل وجه .

الحواشي

(١) نشرت المقالة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٨ : ٣٦٤ ـ ٣٩٤ .

(٢) وقد جاء كل من البيتين مفرداً في غير ما كتاب أيضاً . وانظر ما ذكره الدكتور شاكر الفحام في البيتين وتخريجها في تحقيقه لـ « حديث الشعبي في صفة الغيث » في الجزء الأول من المجلد ٥٨ ، ص : ٤٢ ـ ٤٣ ، التعليق : ٣٢ .

(٣) وقد وجدت بأخرة البيت الثاني وحده في شرح النقائض ، ص : ٥٧٥ منسوبًا إلى « هند » غير مسمّاة الأب .

(٤) رابني في هذه النسبة أني لم أحسّ في الكتاب نفس ابن القيم الذي أعرفه فيما قرأت من كتبه ولا طريقته . ثم رأيت الأستاذ خير الدين الزركلي ، رحمه الله ، قال في التعليق على ترجمة ابن القيم في الأعلام ٦ : ٢٨١ ـ الطبعة الثانية : « وفي نموذج الشيخ منير ٧٨ : نسب إليه كتاب أخبار النساء المطبوع بمصر سنة ١٣١٩ هـ خطأ ، وهو لابن الجوزيّ » وذكر في التعليق على ترجمة ابن الجوزي ٤ : ٩٠ نحو ذلك أيضًا . واسم الكتاب الذي نقل عنه بتمامه : « نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية » ومؤلفه صاحب تلك الإدارة الوراق المشهور : الشيخ محمد منير عبده آغا الدمشقي ، وهو من علماء الوراقين . ولم أكن أعرف كتابه هذا ، ثم وقفني عليه الصديق المفضال الأستاذ مصباح الغلاونجي ، وهو ابن أخت مؤلفه ، فوجدت الشيخ يحتج لما ذهب إليه بقوله : « وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى [يعني ابن الجوزي] إليه في كتابه : تلبيس إبليس صفحة ٤٠٠ من الطبعة الثانية سنة ١٣٤٧ هـ . وكتب هذا الإمام الجليل تدلّ على أن كتاب أخبار النساء هو له من أسلوبه ووضعه ، فله من هذا كثير ، منها كتاب الحمقى والمغفلين ، وكتاب الأذكياء وغير ذلك مما يدلّ صريحًا على أنه له » .

والكتاب أشبه بكتب ابن الجوزي حقًّا ، إلا أن أمر نسبته يحتاج إلى مزيد من التحقيق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٥) وأغلب الظن أن السيوطي نقل هذه الحكاية من كتاب الأبشيهي . ويدل على أن الأبشيهي نقلها ، أو اختصرها على طولها ، من بعض كتب الأسمار أو ما يشبهها مما يوضع للعامة أنه قال عقبها : « وقد وجدت في بعض النسخ [كذا] ما هو أوسع من هذا ، ولكن اقتصرت على القليل منه إذ فيه الغرض ، والله أعلم » .

وقد جاء في تعليق المستشرق پلا على البيتين في نشرته لكتاب البغال ، ص : ١٢١ ما يفيد أن الإتليدي نقل هذه الحكاية (٣٤) أيضًا ، يعني في كتاب : إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، ولم أر هذا الكتاب ولا عرفت من هذا الإتليدي الذي ينسب إليه .

(٦) انظر كتابه المذكور ١ : ٣٥١ و ٢ : ٣١ ، ٣٣ ـ ٣٤ ، ٩٠ و ٣ : ١١٧ ، ٢٤٢ . وقد حرفت نسبته في بعض هذه المواضع إلى « المدائني » . وهناك سليمان بن أيوب آخر يروي وكيع في كتابه هذا عن إسماعيل بن إسحاق القاضي عنه ، وهو سليمان بن أيوب صاحب البصري (ت ٢٣٥ هـ) وهو من المحدثين الحفاظ الثقات . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٤٨ وفي سير أعلام النبلاء ١١ : ٤٥٣ والمصادر التي ذكرها محققه . وقد خلط ناشر « أخبار القضاة » بين الرجلين في فهارس الأعلام .

(٧) حرفت نسبته في مواضع كثيرة من الأغاني أيضًا إلى « المدائني » ولذلك كثيراً ما خلط في فهارس « رجال السند » بينه وبين شيخه أبي الحسن المدائني .

(٨) وقع في هذه الرواية في طبعة دار الكتب من الأغاني ١٣ : ٣٣٢ ، السطر : ٧ ، وفي سائر ما وقفت عليه من طبعاته (ط . بولاق ١٢ : ١٠٨ ، والساسي ١٢ : ١٣ ، ودار الثقافة ١٣ : ٣٣٢) سقط كبير يستدرك من معجم البلدان (حلوان) وقد جاء فيه الخبر نقلاً عن الأغاني .

(٩) وقفتني على هذه الترجمة الآنسة سكينة الشهابي ، وقد نسختها عن مصورة لديها عن مخطوط المتحف البريطاني .

(١٠) لم أجد لها هذه الكنية في مكان آخر ، إلا أنه جاء في الحيوان ١ : ٣٢٦ : « وكانت امرأة روح بن زنباع أم جعفر بنت النعمان بن بشير ، وكان عبد الملك زوجه إياها وقال : إنها جارية حسناء فاصبر على بذاء لسانها » .

(١١) علق محقق غريب الحديث د . عبد الله الجبوري على هذا التفسير قال : « لم أجده في كتاب الخيل » ـ يعني كتاب أبي عبيدة المطبوع في حيدرآباد سنة ١٣٥٨ هـ . وهو كما قال . مع أن الكتاب ـ كما جاء في فاتحته ـ من رواية أبي يوسف الأصبهاني ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة .

وقد صحّ عندي أن ابن قتيبة ينقل عن كتاب آخر لأبي عبيدة في الخيل سمّاه ابن السيد في الاقتضاب « كتاب الديباجة » وذكر في غير موضع منه أن ابن قتيبة نقل منه أبواب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخيل في أدب الكاتب ، وقد نقل عنه ابن السيد نفسه أيضاً ، انظر ص : ١٣٨ ، ١٤٠ ـ ١٤٣ ، ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٦٠ . وهذا الذي ذكرتُ وجدت العلامة سالما الكرنكوي (فريتس كرنكو) ذكر نحوه في ترجمته لأبي عبيدة في آخر كتاب الخيل المطبوع ، ص : ١٧٨ وزاد على ذلك قال : « ومن هذا الكتاب [يعني كتاب الديباجة] أخذ القالي في أماليه [٢ : ١٩١] وابن قتيبة في عيون الأخبار [٢ : ١٥٧] شعراً لعبد الغفار الخزاعي ، [و] نقل الجاحظ في كتاب الحيوان ج٦ ـ ١٥٠ [٦ : ٤٤١ ـ تحقيق عبد السلام هارون] منه أنه ليس للفرس طحال » .

قلت : وما نقله الجاحظ جاء عن أبي عبيدة في المخصص ٦ : ١٤٢ ، ونقله عنه ابن قتيبة أيضاً في أدب الكاتب ، ص : ١٢٩ (ط . بيروت) ١٣٧ (ط . ليدن) وفي المعاني الكبير ، ص : ١٤١ . وقد نقل في أبواب الخيل من كتاب المعاني هذا أيضاً كثيراً مما نقله في أدب الكاتب ، وصرّح في بعضه بأنه عن أبي عبيدة .

ويظهر أن الكتاب الذي نقل منه ابن قتيبة وسماه ابن السيد « كتاب الديباجة » هو الذي ذكره الأزهري في حديثه عن أبي عبيدة في مقدمة التهذيب ، ص : ١٤ قال : « وله كتاب في الخيل وصفاتها ناولنيه أبو الفضل المنذري وذكر أنه عرضه على أبي الهيثم الرازي » وذلك أن الأزهري نقل في مواضع شتى من معجمه هذا عن الكتاب الذي ذكره ما يطابق ما جاء في أدب الكاتب ، وكان فيما نقل ما قاله أبو عبيدة في غير ما دائرة من « دوائر الخيل » وهو يطابق ما نقله فيها ابن السيد في الاقتضاب ، ص : ١٤٢ ـ ١٤٣ عن « كتاب الديباجة » أيضاً .

هذا ، وقد ذكر ابن النديم لأبي عبيدة ، وهو يعدد كتبه ، في الفهرست ، ص : ٥٨ (ط . طهران) « كتاب الديباج » ثم ذكر له « كتاب الخيل » أيضاً ، وتبعه في ذلك ياقوت في معجم الأدباء ١٩ : ١٦١ ، والقفطي في الإنباه ٢ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وابن خلكان في الوفيات ٥ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ولعل ما سُمّي « كتاب الخيل » هو هذا الذي طبع في حيدرآباد ، وأما « كتاب الديباج » فالظاهر أنه هو الذي سماه ابن السيد « كتاب الديباجة » يؤيد ذلك أنه جاء في التهذيب ٨ : ٢٣٢ : « قال أبو عبيدة : من الخيل أشقر سِلْغَدٌ ، وهو الذي خلصت شقرته ، وأنشد

أشقر سِلْغَدٌ وأحْوى أدْعَجُ »

وهذا التفسير نفسه نقله البكري في اللآلي ، ص : ١٤٧ عن كتاب أبي عبيدة أيضاً ، وسماه « كتاب الديباج » .

(١٢) انظر ترجمة ابن القرية هذا وأخباره في سير أعلام النبلاء ٤ : ١٩٧ ، ٣٤٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمصادر ، التي ذكرها محققه ، وفي وفيات الأعيان ١ : ٢٥٠ ، والوافي بالوفيات ١٠ : ٣٩ أيضاً .

ومما اختلفت فيه المصادر اختلافاً كبيراً خبر قتل الحجاج له لخروجه عليه مع ابن الأشعث وما دار بينه وبينه عندما جيء به من كلام . وقد وجدت بأخرة في جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ١ : ٣٠٨ ـ ٣١٠ حكاية لذلك جاء فيها خبر أمر الحجاج له بتطليق هند عنه بقريب مما جاء في عيون الأخبار والوفيات . وقد روى أبو هلال هذه الحكاية عن شيخه أبي أحمد (العسكري) عن أبيه ، عن عسل بن ذكوان ، عن رجل من قريش . وهذا سند واهٍ جداً ، لجهالة القرشي الذي حكى عنه عسل من جهة ، ولانقطاعه من جهة أخرى . وذلك أن مقتل ابن القرية كان ـ كما ذكر غير واحد من مترجميه ـ سنة ٨٤ هـ ، وعسل بن ذكوان ذكر مترجموه أنه كان في أيام المبرد (ت ٢٨٥ هـ) وأنه روى عن المازني (ت ٢٤٩ هـ) والرياشي (ت ٢٥٧ هـ) . والظاهر أن القرشي الذي حكى عنه من أهل هذه الحقبة أيضاً (النصف الأول من المئة الثالثة) وبينه وبين أيام الحجاج وقتله ابن القرية مفاوز .

وانظر ترجمة عسل بن ذكوان في معجم الأدباء ١٢ : ١٦٨ ، وإنباه الرواة ٢ : ٣٨٣ ، وبغية الوعاة ، ص : ٣٢٤

(١٣) كذا أثبت الأستاذ البيت في هذا الموضع ، ويظهر أنه نقله على هذا الوجه من العقد الفريد ، والصواب في صدره : « فإن نُتجت .... » كما جاء في أكثر الروايات ، وأما « أنجبت » فتحريف ، وهذا الفعل : « أنجب » لايكون إلا لازمًا ، يقال : أنجب الرجلُ والمرأةُ ، إذا ولدا ولدًا نجيبًا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net